جامعة طرابلس

كلية التربية جنزور

تحليل النص الشعري بين التأصيل والحداثة

"مقاربة نظرية "

د . خديجة البدوي

عضو هيئة التدريس بقسم اللغة العربية

أبريل . 2018

تحليل النص الشعري بين التأصيل والحداثة

"مقاربة نظرية "

مقدمة :

مع ما آلت إليه أحوال النقد الأدبي الحديث من تداخل وتمازج وتنوع واختلاف ؛ فقد صار لزاما على كل مشتغل بنقد الأدب العربي ودراسته ، أن يكون مطلعا على جميع الأصوات ، ملما بكافة المناهج والنظريات ،متهيئا لامتلاك معرفة عميقة وواسعة بتراثه النقدي ، تؤهله للقيام بتأصيل معرفته بثقافته وأصوله الجمالية المتوارثة وتأكيد هويته، ليضطلع بدوره في تحقيق التحاور مع المتغيرات المعرفية وأساليبها ومقوماتها ومرجعياتها .

وتكمن أهمية هذا البحث في سعيه إلى تعزيز الوعي بحتمية الاختلاف بين الثقافات والحضارات ، والدعوة إلى الاجتهاد في إيجاد حوار تفاعلي واع بين النظريات النقدية الحديثة ومناهجها ، وبين التراث النقدي العربي بمرجعياته ومقوماته الجمالية والثقافية في ممارسة نقدية متميزة وراسخة . وهو يعرض عددا من التصورات من خلال تنفيذ منهج يقوم على الوصف والتحليل ، لتحقيق نتائج أكثر وضوحا وأقرب إلى التطبيق . ولكي يتم تسليط الضوء على الموضوع ، والاحاطة بجوانبه؛ فقد تشكل في أربعة محاور:

أولا : منطلقات نقدية في دراسة النص وتحليله:

إن الإلمام بالمعارف النظرية النقدية التي يشكل وجودها ركائز في العمل النقدي ؛ يتطلب محاولة تتبع كافة المصطلحات التي رافق ظهورها الحركة النقدية التي امتزجت فيها المعرفة النظرية بالممارسة النقدية ، ومن بين هذه المصطلحات مصطلح نقد الذي يعرف تعريفات مختلفة ، فيعرف بأنه : " فن تقويم الأعمال الأدبية والفنية، وتحليلها تحليلا قائما على اساس علمي ، وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصدرها وصحة نصها وانشاؤها وصفاتها وتاريخها " [1]

وبالرغم من اختلاف التعريفات الواردة لهذا المصطلح فإن ثمة عنصر اتفاق مشترك بين التعريفات المختلفة لهذا المصطلح ، هو " أنه مجموعة الأساليب المتبعة (مع اختلافها باختلاف النقاد) لفحص الآثار الأدبية والمؤلفين القدامى والمحدثين بقصد كشف الغامض وتفسير النص الأدبي والادلاء بحكم عليه في ضوء مبادئ أو مناهج بحث يختص بها ناقد من النقاد " [2]

وفي المصادر العربية لم تخرج تعريفات الكلمة عن هذا المفهوم ،فقد استخدمت كلمة نقد مرتبطة بالشعر عند قدامة بن جعفر(337هـ) في كتابه " نقد الشعر" ، وابن رشيق القيرواني(456هـ) في كتابه :" العمدة في محاسن الشعر ونقده "

ومن بين المصطلحات النقدية التي صارت تحظى باهتمام كبير من طرف العلماء والنقاد ، مصطلح النص الذي لم تقتصر العناية به على جانبه اللغوي أو التركيبي أو الدلالي ، وإنما صار علما قائما بذاته، وحقلا منجمياً مكثفا لعوامل متداخلة عقلية واجتماعية ونفسية ومعرفية بصورة متفاعلة ، و ارتبط بعلم اللغة العام وعلم الأدب وعلم الأسلوب وعلم النفس والاجتماع وغيره .

[1] وهبة والمهندس . معجم المصطلحات العربية . . مكتبة لبنان . بيروت . 1984. ط2 . 417

[2] م . س . الصفحة نفسها .

ولم يكن مفهوم النص في الثقافة العربية يشكل مجالا بحثيا مستقلا ، وإنما كان يدرس ضمن بحوث علم البلاغة والنقد والدراسات اللغوية والصرفية ، ولكن بعض الدراسات العربية المتأخرة في علم البلاغة خاصة فيما يتعلق بنظرية النظم ؛تنبهت إلى ضرورة الربط بين النظم والنص [3].

ويعرف تحليل النص في النقد الأدبي والفني بأنه : "منهج في النقد الادبي قوامه التحليل المفصل للمؤلَف الأدبي جزءا جزءا "[4] ، حيث يمكن تحليل المعنى الكلي للقصيدة " إلى فكرة وشعور وموقف وغرض ، وكل هذا يعبر عنه بكلمات مرتبة ترتيبا ما ، ولا يمكن فهم القصيدة الا بالتحليل الدقيق لصفات هذه الكلمات من معنى وصوت وتداعي معان وتنظيم للإيقاع الموسيقي " [5]

فاستعمال مصطلح (تحليل) يعني " الوقفة الطويلة عند النص لإدراك أبعاده وبلوغ أعماقه، ومن ثم العودة الى القارئ بالنتائج "[6] ، وهو بهذا يقوم بمهمة " التجزئة من أجل معرفة المكونات معرفة دقيقة " [7] ، ويتفق هذا المصطلح مع التفسير في التوضيح وإزالة الغموض [8]

ومع ما يمثله النص الشعري من خصوصية في عملية الابداع ، وصعوبة الاشتغال بالنقد الأدبي بمقوماته المتداخلة ومناهجه المتشعبة ومدارسه المتنوعة ونظرياته ، وما يصادفه الناقد من مصاعب على المستويين النظري والتطبيقي؛ فإن من الضروري أن ينطلق أي دارس للأدب من رؤية واضحة وتصور شمولي لطبيعة الأدب ووظيفته الإبداعية والفنية التي تتجسد في واقع الحياة ، كما يرتبط بالمبدع

---

[3] خليل ابراهيم محمود . النقد الأدبي الحديث . دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة . عمان . ط 4 . 75
[4] وهبة والمهندس . معجم المصطلحات العربية 90
[5] م . س . 90
[6] علي جواد الطاهر .مقدمة في النقد الادبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط1 . 1979 . 340
[7] م . س . الصفحة نفسها
[8] م . س . الصفحة نفسها

وبالوسط الاجتماعي والبيئي والحضاري . ومن شأن ذلك المساعدة في استيعاب الدور الذي يمكن أن يقوم به في رسم حركة الحياة وبناء المستقبل.

ولكي يكون هذا التصور فعالا ومواكبا للمستجدات المستمرة التي تعرض للتجربة الأدبية لابد أن يتسم بالمرونة والتماسك ويتميز بالاستيعاب والقابلية للنمو والتطور بحيث يتفادى الثبوت والتقوقع والجمود [9] ويتمكن من أن يكون قادرا "على تفهم العمل الأدبي وتفسيره وتحليله وتحديد مواطن القوة والضعف فيه " [10] ، ومؤهلا لأن " يبحث في العوامل المؤثرة في النص ، في عملية الخلق الأدبي ، وصلة النص بصاحبه ومحيطه وعصره ، فيما جرى من تفاعل وتبادل " [11]

وقبل شروع الدارس في مهمته ينبغي أن تتم بلورة عدد من الأهداف العامة التي يضعها نصب عينيه ، ويسعى الى تحقيقها ، ومن بين هذه الأهداف :

1. "فهم الظاهرة الأدبية المدروسة واستيعاب عناصرها المسؤولة في جماليتها أو عدم جماليتها
2. محاولة كشف الدلالات الظاهرة والخفية والمحتملة ، بمعنى إغناء النص بإقامة حوار منتج مع بنياته الدالة .
3. إقناع القراء والمهتمين بتقويم الأعمال الأدبية ، بأن ماتوصل إليه الناقد من نتائج وأحكام ودلالات هو شيء قريب من الصواب ، لأنه بذلك سيضمن أكبر عدد ممكن من المؤيدين لنظرته الخاصة ونتائج تحليله " [12]

ولأن الظاهرة الأدبية لايمكن أن نستوعبها بالتحليل والتقصي وندرك معالمها بالنظر والبحث، ولا أن نتخذ حيالها موقفا مبنيا على التجرد والحياد؛ الا من خلال

---

[9]- حميد لحمداني . الفكر النقدي الأدبي المعاصر . مناهج ونظريات ومواقف 7 . انفو –يرانت – فاس . ط 3 . 2014 .

[10]- محمد عبد المنعم خفاجي .مدارس النقد الادبي الحديث الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . ط 4 302

[11] علي جواد الطاهر . مقدمة في النقد الأدبي . 340

[12]- حميد الحمداني الفكر النقدي الأدبي المعاصر 12

الإلمام بكل جوانبها المتعلقة بـالذات المبدعة ومظاهر حضورها في النص، وبأشكال التعبير التي تهتم بالبنية والمنطق الداخلي للنصوص وتعنى بتقنيات التعبير ووسائله ،وبناء الصور والأخيلة ،وهي التي تجسدها اللغة التي يتشكل منها العمل الأدبي ، ثم بالواقع الثقافي والتاريخي والاجتماعي الذي تكونت فيه هذه الظاهرة .

وهذه الجوانب جميعها كانت سببا في تدخل عدد من العلوم الإنسانية لإغناء التجربة النقدية وإتاحة الفرصة لمشاركة المعرفة الواعية ،والقراءة الموضوعية المبنية على "الفكر والتحليل والإقناع وتأمل الظواهر واكتشاف العلاقات المسؤولة عن خصوصيات الأعمال الأدبية في النصوص وخارج النصوص "[13]

كان من نتائج هذا التدخل للعلوم ،أن مفهوم الظاهرة الأدبية صار أكثر إحاطة ورحابة ؛ فعلى مستوى بنيتها الداخلية كانت اللسانيات والبلاغة والمنطق ،وعلى مستوى أثر المبدع ظهر علم النفس ،وعلى مستوى تأثير البيئة المحيطة عمل علم التاريخ وعلم الاجتماع على إثراء هذه الجوانب [14] ، وهذا يعني أن "الأعمال الأدبية لاتسوغ دراستها باعتبارها أبنية فردية ذاتية ، وإنما هي جزء من بنية شمولية . ولمعرفة السياق الزمني والتاريخي دور غير هين في الوصول إلى فهم أعمق وأدق للأدب " [15]

إن خوض غمار التجربة النقدية الحديثة لدى الناقد العربي ،صار يتطلب تحقيق الكثير من "التراكم الكيفي في حقل النقد الأدبي العربي " [16] ،والإلمام بكل الجهود التي نسجت التجربة النقدية ابتداء من النقد الذاتي المبني على القدرات التلقائية الذوقية اللاشعورية حيناً، وعلى الدربة والممارسة والخبرة حيناً آخر ، ومروراً بمرحلة النقد

---

[13] م . س . 16 . وينظر د. محمد عبد المنعم خفاجي .النقد الادبي الحديث 21

[14] م . س . 16

[15] محمد عبد المنعم خفاجي .النقد الادبي الحديث 249

[16] سعيد يقطين ، . فيصل دراج ،آفاق نقد عربي معاصر دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر .. 2003 . دمشق 173 .

الموضوعي التي يمثلها عبد القاهر الجرجاني "400- 471"هـ ، هذا اللون النقدي الذى تجلى في مشاركة علم البلاغة في تقييم النصوص ، وذلك من خلال قدرته على أن" يقدم تفسيراً منطقياً لجمالية النص ،وللظواهر اللغوية والأسلوبية " [17] ، ثم بالاطلاع - في مرحلة لاحقة -على نتاج كل الأسماء التي "حاولت أن تقدم نقداً مجتهداً، أو حاولت على الأقل أن تعطي مؤشرات صحيحة ، مثل محمد منذور ويحي حقي ومحمود أمين العالم وغيرهم " [18] .

والناظر في تجليات النقد العربي يلاحظ أنها تجسدت في ثلاثة حقول :

الذاتي : ويتناول كل ماله علاقة بالمبدعين حالاتهم وأمزجتهم .

الحقل التاريخي الاجتماعي: ويعنى بالمراحل التاريخية والانتماء القبلي والاجتماعي.

الحقل اللغوي : ويدرس النصوص من حيث بنيتها اللغوية وأسلوبها ومظاهرها البلاغية [19] .

و هذه الميادين الثلاثة ،هي التي تشكلت منها المناهج الثلاثة الكبرى التي تم تداولها حتى الآن :

- المنهج النفسي
- المنهج الاجتماعي / التاريخي
- المنهج البنيوي / اللغوي البلاغي

وتمثل هذه المناهج الثلاثة - في الأصل- ثلاثة وجوه أساسية مندمجة ، هي نفسها وجوه الظاهرة الأدبية : الذاتي والاجتماعي و اللغوي – كما أشرنا آنفا -[20] ،تلك الوجوه " التي اتصلت في لحظات معينة من التاريخ وانفصلت لتطور نفسها لكي تعود

---

[17] حميد الحمداني . الفكر النقدي الأدبي المعاصر 21

[18] سعيد يقطين . فيصل دراج ،آفاق نقد عربي معاصر 173، 174

[19] انظر حميد الحمداني. الفكر النقدي الأدبي المعاصر 23

[20] انظر : م . س . 25

إلى الاتصال من جديد وهكذا دواليك "[21] وقد شكلت هذه الظواهر المتجسدة في التحرك والتفاعل والتداخل ،المناخ العام الذي مهد لظهور معرفة نقدية حقيقية ومتراكمة ، فالمعرفة بشكل عام "متجددة متحولة لايساوي ماضيها حاضرها ، ولا يساوي الزمنان معا مستقبلها "[22] ، ولذلك يمكن القول إن الحقل النقدي "يتكون في فعل حواري متعدد الأبعاد ، ينطوي على حوار الحاضر النقدي مع ماضيه، والناقد مع نصه وحوار الجهود النقدية المختلفة فيما بينها ، وذلك في زمن ثقافي تاريخي معين يغاير غيره من الأزمنة الثقافية"[23] .

ولكن الذي ينبغي الإشارة إليه ؛إن مسيرة النقد الأدبي طويلة وشاقة ، وقد شارك فيها كثير من النقاد العرب وغيرهم ، وأنجزوا بحوثاً نقدية عميقة وجادة ،سعياً إلى "تخليص الممارسة النقدية من هيمنة الأذواق والنزعات الخاصة والأهواء السياسية ،بغاية بناء معرفة نقدية تتسم بأكبر قدر من الموضوعية"24، وعد ذلك مكسبا في الاتجاه الصحيح للنقد الأدبي.

ثانيا : النقد العربي والحداثة :

لم يستطع النقاد العرب المحدثون مواكبة المناهج الحداثية في النقد الأدبي أو استيعابها في بداية الأمر ؛ ذلك لأن النتاج النقدي الغربي لم يفد إلينا بصورة واضحة ومكتملة وتدريجية، وإنما هجمت علينا النظريات والمناهج النقدية "دفعة واحدة، أواخر القرن العشرين: النقد الألسني، والأسلوبي، والبنيوي، والسيميائي، والتفكيكي.. إلخ. مما أشاع الاضطراب وعسر الهضم لدى نقادنا الذين استقبلوا هذه المناهج فاغري الأفواه، دون أن يميزوا بينها إلا في وقت متأخر. ولعل عدم اكتمالها، في

---

[21] م . س . 27
[22] سعيد يقطين وزميله . أفاق نقد 96
[23] م . س . 143
[24] د حميد الحمداني .الفكر النقدي الأدبي المعاصر 27

بداياتها، حتى في بلد المنشأ ذاته، هو أحد الأسباب التي جعلتها غائمة في الأذهان، وجعلت بعضهم ينصرف عنها، ويؤثر قناعاته التقليدية"[25].

ومن هنا انقسم النقاد العرب في نظرتهم إلى النتاج النقدي الوافد بنظرياته ومناهجه؛ فظهر اتجاه يدافع عن الحداثة النقدية ويدعو إلى ضرورة الاستفادة من كل ماهو مستجد على الساحة النقدية الغربية ، ومن رواد هذا التوجه محمد مفتاح ومحمد بنيس وحميد لحمداني وحسين الواد وصلاح فضل وغيرهم ، ودعا الاتجاه الآخر إلى تأصيل النقد العربي والتروي في إصدار الحكم سلبا على التراث العربي القديم، ومن أنصار هذا التوجه عبد العزيز حمودة في كتاب: "المرايا المقعرة"، و"المرايا المحدبة"، و"الخروج من التيه". وثمة فريق اتخذ موقفا وسطا ،فهو يدافع عن التراث ويوفق بين أدواته وآليات النقد الغربي كمصطفى ناصف في مؤلفاته التي يعتمد فيها على أدوات البلاغة العربية القديمة، مثل كتابه "قراءة ثانية لشعرنا القديم" ، وعبد الفتاح كليطو في "الأدب والغرابة" و"الحكاية والتأويل"، وكتابه "الغائب"، وعبد الله محمد الغذامي في كتابيه "القصيدة والنص المضاد" و"المشاكلة والاختلاف."[26]

ولأن قيم الحداثة الغربية ارتبطت بمرجعياتها الثقافية التي انبثقت منها واستندت إليها ؛ فقد انحازت الى مفاهيمها وخصوصياتها، وهذا الانحياز أمر حتمي ، ومفروغ منه ؛ لأن هذه القيم والمفاهيم الجديدة صارت " تفرض نفسها اليوم كقيم انسانية كلية – عالمية – "[27] ، ولكن هذا الاختلاف والتعدد والتباين في الثقافات والحضارات لاينبغي أن يؤدي الى حدوث ردود فعل سلبية وعدائية ،ولا الى القطيعة والانغلاق، والأمر الطبيعي المهم أن نسعى إلى إحداث واقع جديد " ينطلق من الوعي بحتمية

---

[25] محمد عزام . تحليل الخطاب 337

[26] ينظر جميل الحمداني . النقد العربي ومناهجه . مقال في موقع " ديوان العرب " . الأحد . 7 يناير . 2007

[27] محمد عابد الجابري . المثقفون في الحضارة العربية ، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد 16 . مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط2، 2000 .

الاختلاف بين الثقافات والحضارات ومن الإيمان بدور هذا الوعي وأهميته في الاجتهاد والإبداع والانفتاح "[28] .

فإذا كنا نتطلع الى بلورة هذا الواقع في رؤية خاصة بمرجعيات وثقافة عربية ، تسهم في إغناء الفكر العالمي المعاصر، فإن هذا "لايتم بالنقل والتمثيل ، بل بالمشاركة في الاكتشاف والجهد في العمل المتقصي والمبادرة الفردية على مستوى الفكر والتحليل "[29] ، وذلك بـ "الانكباب على عزل هذه المفاهيم في مرجعياتها وربطها بمرجعياتنا الثقافية ، حتى تصبح ملكاً لنا كأنها من وضعنا " [30] ، و بإحداث تفاعل إيجابي مبني على الحوار والتفاعل مع الإنتاج النقدي المتمثل في النظريات النقدية الحديثة ،و أن نحدث نوعاً من الربط والتأصيل بين هذه المعطيات الثقافية النقدية الغربية والموروث الثقافي العربي ، وهو ماعبر عنه محمد عابد الجابري بـ التبيئة – يقول في سياق التعريف بهذا المصطلح وتوضيح أبعاده ودلالاته: " التبيئة – في اصطلاحنا هذا تعني ربط المفهوم بالحقل المنقول إليه ربطاً عضوياً ، وذلك لبناء مرجعية له فيه تمنحه المشروعية والسلطة ، سلطة المفهوم في آن واحد . وعملية بناء المرجعية للمفهوم في الحقل المنقول إليه تتطلب بطبيعة الحال الاطلاع على مرجعيته الأصلية ، على ظروف تشكلها ومراحل تطورها ، وبعبارة أخرى استحضار تاريخيتها وذلك حتى يتأتى التعامل مع المعطيات التي وضع المفهوم للتعبير عنها في الحقل / الأصل ، والمعطيات التي يراد من ذلك المفهوم التعبير عنها في الحقل/ الفرع، تعاملا من نوع" قياس الأشباه بالنظائر" مع الاحتفاظ دوما بـ"الفارق" ولكن لابوصفه جداراً حديدياً بل بوصفه جسراً ومعبراً " [31] ، ومن شأن هذا الجسر أن يساعد على تهيئة سبل الاستفادة من طرائق البحث التي يسلكها النقاد الغربيين

---

[28] علي صديقي. مطارحات نقدية 70

[29] عماد علي الخطيب . في الادب الحديث ونقده . دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ط 2 . ص 303

[30] علي صديقي. مطارحات نقدية 76

[31] محمد عابد الجابري المثقفون في الحضارة العربية ، 14

وامتلاك مقوماتها الضرورية ، وليس الانطلاق من نتائج أعمالهم. وبذلك نحقق التراكم المعرفي اللازم للانطلاق الى مراحل جديدة [32].

وتكمن أهمية هذه العلاقة القائمة على الحوار والتواصل والتفاعل الواعي أيضاً،في أنها تسمح للباحث بفتح آفاق جديدة للبحث والاجتهاد والتطور بعيداً في الاستنساخ والترقيع ، [33] كما تؤهل المشتغل بالتحليل النصي لكي "يكون مجهزاً بالعدة النظرية الأساسية ،وبموقف شخصي يؤهله لممارسة النقد والاتفاق والاختلاف " [34]، وتحصنه من الانزلاق في المطبات التي وقعت فيها المنظومة المعرفية الغربية المبنية على مرجعية مختلفة، خاصة في نظريات عالم ما بعد الحداثة [35] ، غير أن ثمة استدراكاً مشروعاً ، هو إن هذه العلاقة القائمة بين الثقافات يمكن أن تحقق مكاسب حقيقية حينما يتم "التفاعل الثقافي بين هويات ثقافية متساوية أو شبه متساوية ، أي بين هويات تتبادل الاعتراف"[36] ، أما إذا ما انتفى شرط الاعتراف هذا ، فإن الأمر " يغدو أكثر صعوبة ووعورة ومأساوية "[37] ،ويسري هذا الاحتراز أيضا على الدارس وتراثه " فالناقد الحق يسلم بالتطور ويسايره ولكنه لا يستسلم له ولا يتركه يجري على هواه ، بل يضع لكل عصر مقاييس للحكم تتوسط بين التراث والاستحداث "[38] ينبغي أن يكون حاضرا بكل كيانه الذاتي والحضاري ، و" حين لا يعترف الناقد الأدبي بذاته ، ولا بتراثه ولا يعترف أن بإمكان الناقد العربي ، - بالرغم من عربيته- ، أن ينتج قولاً مفيداً " [39] فإن ذلك يكون عائقا في سبيل هذا التفاعل ؛لأن هذا الحوار والاعتراف موضوعه علاقة الحاضر بالماضي ،حيث " لاوجود لنص أدبي إلا في

---

[32]- انظر سعيد يقطين وزميله . آفاق نقد 62

[33] - انظر م . س . 64 ،65

[34] - م . س . 64

[35] - انظر علي صديقي. مطارحات نقدية 110

[36] - سعيد يقطين وزميله . آفاق نقد 188

[37] - م . س . الصفحة نفسها

[38] محي الدين صبحي . نظرية النقد العربي وتطورها . الدار العربية للكتاب . ليبيا تونس . 1984 . 54، 55

[39] - سعيد يقطين وزميله . آفاق نقد . 188

علاقته بنص آخر ، فالنصوص لا توجد فرادى " [40] ولذلك فإن " كل نص أدبي ابن مضمر لنص أدبي سبق ، وأب مضمر لنص أدبي لاحق "[41]، وإن " الحوار بين الناقد والنص هو الحوار بين الناقد وجملة النصوص المضمرة في النص المقروء ، الأمر الذي يجعل من تاريخ الأعمال الأدبية عنصراً داخلياً في كل مقاربة نقدية موضوعية ."[42]

ثالثا : آليات التحليل بين الذاتية والموضوعية :

ولأن الشاعر المبدع في المكون التركيبي يستخدم في بناء نصه الشعري لغة خاصة بمفرداتها وتراكيبها وإشاراتها ورموزها ،ذلك لأن الشاعر " هو الذي يجدد اللغة ، فالكلمات كائنات تحيا بالشعر ، ولولا استعمال الشعراء المتكرر للكلمات لأصبحت اللغة مع الزمن عاجزة في تعبيرها عن الأغراض الإنسانية النبيلة " [43] فمن الطبيعي إذن أن يلتفت المحلل إلى " تفاعل هذه الأشياء فيما بينها في إطار سياقها الشعري " [44] ، ذلك لأن "النص الشعري عالم مغلق ، تظل فيه كثير من الدوافع والأسباب التي أسهمت في إيجاده غائبة عن المحلل . فوراء لغة النص عوالم من الجهد والعرق والمعاناة والتأمل لا يدرك المحلل شيئا منها ، ولا يعرف عن خفاياها شيئا ،بيد أنها العناصر المباشرة التي أمدت الرؤيا بأسباب التكوين والنماء والاستواء ."[45]

---

[40] م . س . 146
[41] م . س . الصفحة نفسها
[42] م . س الصفحة نفسها
[43] ابراهيم محمود خليل . النقد الادبي الحديث 38
[44] أحمد الطريسي . الشعرية بين المشابهة والرمزية . شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع . شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع. الرباط . 1991 . 97
[45] م . س . الصفحة نفسها

وإذا كان النقد "هو ضرب من النشاط هاجسه الجمع بين الملاحظة العلمية الدقيقة والانطباع الذوقي المرهف " [46] ، وإن "لكل شاعر نظامه الإشاري والرمزي ، بل لكل قصيدة نظامها ونوعية العلاقات التي تشد وتحكم هذا النظام ، والنظام الإشاري أو الرمزي في لغة النص الشعري هو نظام الرؤية المرتبط بتجربة الشاعر " [47] . لذا فإن أي ناقد أو محلل أو دارس للأدب ملزم بأن يراعي هذه الشفرة الأسلوبية الخاصة في التجربة الشعرية ، "هذه التجربة التي يجادل البعض إسقاطها ظلماً من الحساب أثناء العملية التحليلية ، بدعوى أنها تمثل جزءاً غير منظور في رحلة الإبداع . وكل اقتراب من هذه التجربة يعد ضرباً من " الحدس " الذي ترفضه النظرة الموضوعية [48]"

والذي تجدر الإشارة إليه ، إنه بالرغم من الإقرار بأن النقد الحديث أقرب إلى العلم المقنن بأصوله وقوانينه ووسائله ،وأنه يشكل "ممارسة واعية تعتمد على التفسير والإقناع "[49] ، يمكنها تحويل الحكم النقدي الى "معرفة موضوعية يستطيع الغير أن يقبلها أو يرفضها "[50] فإن" القراءة الموضوعية لاتخلو تماما من استخدام الذوق وطاقة الحدس ،أي أنها لاتتخلى كليا في الذاتية " [51] ، لامناص إذن من الاعتراف بدور الحدس في العمل النقدي وأهميته في الاهتداء الى كشف أسرار النص الادبي .

ومن المهم أن ندرك ، إن جهود النقد الأدبي بمناهجه المختلفة والنتائج التي تسفر عنها ممارساته النقدية في تحليل النصوص وفي إحتواء العمل الأدبي وكشف

---

[46] ابراهيم محمود خليل . النقد الادبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك . 249

[47] أحمد الطريسي . الشعرية 98

[48] م . س 98

[49] حميد الحمداني . الفكر النقدي الادبي المعاصر 37

[50] محمد مندور . الادب وفنونه . دار نهضة مصر للطبع والنشر . ط . 5 . 2006 . 128

[51] حميد لحمداني . الفكر النقدي . 15.

أسراره وتتبع جوانب الإبداع فيه ؛تبقي مقاربات نسبية ومحدودة لاتمتلك السيطرة الكاملة على كل الوجوه أو الإحاطة بكافة الجوانب الإبداعية العميقة [52] .

رابعا : المناهج المناسبة في تحليل النص الشعري :

إن لكل ناقد الحق في اختيار المنهج الذي يراه مناسباً لرؤيته في التعامل مع النصوص، بحيث يلتزم بتطبيق المفاهيم والمصطلحات والأدوات التي وضعت ،والنتائج التي تم التوصل إليها ، ومدى استيعابه لعناصر الظاهرة الأدبية ، وقابليته لإعادة النظر في النموذج المنهجي وتطويره في ضوء مايستجد من معطيات معرفية ، وتجسيده للمفاهيم المعرفية والعملية التي تلبي الحاجة الى وجود قيم إيجابية لواقع الإنسان وممارساته الثقافية والأخلاقية ، ومساهمتها في تطوير معرفتنا بتحليل النص وتأويله ، وبشرط عدم تغليب الحدس والذوق على حساب النظرة الموضوعية. [53]

غير أن الملاحظ "أن هناك قدراً من التداخل بين المناهج المختلفة ، لأن الفواصل التي تعزلها ليست قاطعة أو حاسمة ، ولكن هذا التداخل لايؤدي عند النظر الصحيح إلى الاختلاط أو التشويش، فهناك مناطق مشتركة تتعدل بها المناهج طبقاً لكشوفها المتوالية ."[54] هذا فضلاً عن التشكيك في قدرة المنهج الواحد على الإلمام بكل وجوه النص في العمل النقدي نظراً لما يعتريه من " القصور الذي قد تتسم به القراءة التي تتبنى منهجاً معيناً في الإحاطة الشاملة بالنص الأدبي"[55]

---

[52] انظر مصطفى العمراني . حدود المناهج النقدية في مقاربة الظاهرة الأدبية 70

[53] انظر حميد لحمداني . الفكر النقدي الأدبي المعاصر . 26 ، 27

[54] صلاح فضل . مناهج النقد المعاصر 16

[55] مصطفى العمراني. حدود المناهج النقدية في مقاربة الظاهرة الادبية .ّ50 .ضمن ابحاث في المنهج واللسانيات والادب . تنسيق محند الركيك . مختبر البحث في العلاقات الثقافية المغربية – الإيبيرية . الاصدار الثاني

فإذا انطلقنا في الممارسة النقدية من مفهوم النظرية الأدبية التي ترى أن الأدب ليس له وجه واحد- كما أشرنا – فمن المفيد "ألا نتبنى منهجاً واحداً على حساب المناهج الأخرى... فمن شأن ذلك أن يغيب التحليل الموضوعي . كما أنه لن يسمح بتوسيع مجال ضبط المنطلقات وتأملها وتجاوزها "[56] والبديل أن نتنقل بسهولة من منهج إلى آخر دون أن نخصص منهجاً بعينه ، ذلك " لأن خصوبة النص لا تنكشف إلا حين تعرضه لعديد من مناهج النقد التي تفضي به إلى عديد التأويلات ،لأن القيمة الأدبية للنص تزداد بقدر ما يحمل من وجوه التأويل "[57] ،على أن نحتفظ دائماً بلون من الحوار والتفاعل بين جميع هذه المناهج النقدية .[58]

بيد أن هذه الدعوة إلى التعدد والتداخل والتنوع في المناهج الأدبية الحديثة ، لا تعني ما تعارف عليه بعض الدارسين العرب بـ " المنهج التكاملي " ،هذا المنهج لم يقم على فهم لمقتضيات طبيعة الظاهرة الأدبية وجوانبها ، و "لم يكن يمتلك رؤية تاريخية ومعرفة بطبيعة المناهج، ولا بطبيعة العلاقات التفاعلية القائمة بينها وبين طبيعة الأدب ،وإنما كان نقداً تلفيقياً "[59] ، وكان يتم إرضاءً لكل النقاد ،وتفادياً للخصومات العنيفة التي كانت تقوم بينهم [60]

إن تحليل أي نص شعري وفقا للنظرة الشمولية المشار إليها ، يتطلب حصر الأدوات الإجرائية لبناء الرؤية التحليلية التي يتبناها المحلل لأي نص ، هذه الرؤية التي تتضمن الجوانب الذاتية والخارجية والنصية . حيث الجانب التاريخي فيما يتعلق بحياة المؤلف والمناخ العام للنص، والاجتماعي في انعكاس البيئة ومظاهرها الثقافية

[56] حميد الحمداني . الفكر النقدي الأدبي المعاصر 7
[57] محي الدين صبحي . النقد والابداع 68
[58] انظر: حميد الحمداني . الفكر النقدي الأدبي المعاصر 7
[59] م . س . 27 ، وينظر صلاح فضل مناهج النقد المعاصر 17
[60] انظر : م . س . 9 . وينظر محمد عبد المنعم خفاجي . مدارس النقد الادبي الحديث 125 .

ومؤثراتها الأيديولوجية المختلفة في النص ، ثم البنيوي في تحليل مستويات المعجم والتركيب والظواهر البلاغية وعناصر الايقاع والأفعال والأسماء والجمل والأدوات وغيرها .

لابد إذاً من التأكيد على الترابط الوثيق والمتلازم بين الداخلي والخارجي ،يتجسد الدور الأول في فهم النص بتحليل بنيته الداخلية ومكوناته ثم تفسيره ،وذلك بالبحث في انفتاح النص على البنية الخارجية التي شكلته وفقا للشروط التاريخية المحيطة به [61] ومن شأن ذلك الحصول على تصور أكثر إحاطة وشمولا .

ولذلك فإن هذا التصور هو مقاربة نظرية تنطلق في رؤيتها لتحليل النص الشعري وفقا للمفهوم الشمولي الذي قامت عليه الظاهرة الأدبية في جوانبها الذاتية والاجتماعية واللغوية، مستأنسين بالمفهوم المعاصر؛ حيث إن النقد لم يعد تقويما بقدر ما أصبح قراءة للنص واكتشافا لخفاياه ،وإنه أضحى ضربا من القراءة المتعددة الوجوه التي تبحث في الأنظمة اللغوية والبني المعرفية له ، وتستهدف النظر في كيفية إنتاج المعنى ومقومات تشكيل الخطاب الشعري .

وتتجسد هذه الوقفة على مستوى التصور التحليلي في عدد من الإجراءات النقدية المتعلقة بتحليل مستويات النص ، حيث المستوى الدلالي في تصنيف المفردات الى حقول دلالية ، وكشف الحقول الغالبة ودلالاتها ، وبالمستوى التركيبي ،و كشف التراكيب المهيمنة على النص ودلالات تراكيب الأفعال أو الأسماء ، وأنواع الأساليب ، ثم الأسلوبية النحوية في دراسة العلاقات والترابط والانسجام الداخلي في النص ، واستخدام الزمان والمكان ، والحروف ثم بالمستوى الصوتي، في الإيقاع وأساليب التكرار بتشكيلاته المتعددة ، ، ثم برصد الظواهر المحيطة بالنص وانعكاساتها وبقائله في خلاصة تركيبية تسعى الى رصد بعض نتائج التحليل.

[61] انظر: مصطفى العمراني . حدود المناهج النقدية 64

المصادر والمراجع :

1. إبـراهيم محمـود خليـل . النقـد الأدبـي الحـديث مـن المحاكـاة إلـى التفكيـك . دار المسـيرة للنشـر والتوزيع والطباعة .عمان . ط 4 . 2011.
2. أحمد الطريسي . الشعرية بين المشابهة والرمزية " دراسة في مستويات الخطـاب الشـعري " . شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع. الرباط . 1991
3. جميل الحمداني . النقد العربي ومناهجه . مقال في موقع " ديوان العرب " . الأحد . 7 ينـاير . 2007
4. حميد الحمداني. الفكر النقدي الأدبي المعاصر . منـاهج ونظريـات ومواقف . انفو – يرانـت – فاس.. ط 3 . 2014
5. سعيد يقطين ، فيصل دراج . آفاق نقد عربـي معاصـر .دار الفكر للطباعـة والتوزيـع والنشـر . دمشق . 2003
6. صلاح فضل . مناهج النقد المعاصر . أفريقيا الشرق . ط 2 . 2003
7. علي جواد الطاهر . مقدمة في النقد الأدبي . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط1. 1979.
8. علي صديقي . مطارحات نقدية في الأدب والفكر .عين برانت . وجدة ط 1 . 2013
9. عماد علي الخطيب . في الأدب الحديث ونقده . دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة . عمـان . ط 2 .
10. محمد عابد الجابري . المثقفون في الحضارة العربية ، محنة ابن حنبل ونكبـة ابـن رشـد . مركـز دراسات الوحدة العربية . بيروت . ط 2 . 2000 .
11. محمد عبد المنعم خفاجي . مدارس النقد الأدبي الحديث الدار المصرية اللبنانية . القـاهرة . ط 4 . 2012
12. محمد عزام . تحليل الخطاب الأدبي على ضوء المناهج النقديـة الحداثيـة دراسـة فـي نقد النقد مـن منشورات اتحاد الكتاب العرب . دمشق . 2003
13. محمد منذور . الأدب وفنونه . دار نهضة مصر للطبع والنشر . ط 5 . 2006 .
14. محي الدين صبحي . النقد والإبداع . دار الينابيع . ط1 . 2007 .
15. ----------. نظرية النقد العربي وتطورها . الدار العربية للكتاب . ليبيا تـونس . 1984
16. مصطفى العمرانـي . حـدود المنـاهج النقديـة فـي مقاربـة الظـاهرة الأدبيـة .ّ.ضـمن أبحـاث فـي المنهج واللسانيات والأدب . تنسيق محند الركيك . مختبر البحـث فـي العلاقـات الثقافيـة المغربيـة – الإيبيرية . الإصدار الثاني .
17. وهبة ، والمهندس . معجم المصطلحات العربية . مكتبة لبنان . بيروت .ط 2 . 1984 .